بعد حوالي شهر في ظلمة الليل الحالكة والسكوت والسكون يخيم على بيوت المخيم البائسة الفقيرة، فلا تسمع الأصوات إلا من نباح كلب يأتي من بعيد أو مواء قطة تبحث عن ولدها الذي التقطه أحد الصبية ليربيه في بيتهم، عساه حين يكبر يأكل الفئران التي تقض مضجع العائلة، في أزقة المخيم الصغيرة المتشابكة ورغم نظام حظر التجول السائد والخطر الذي قد يحدث، كان "أبو حاتم" يتسلل تسلل القطة منساباً في تلك الأزقة بخفة ورشاقة وهدوء، وكلما لزمه تجاوز زاوية جديدة توقف مترقباً باحثاً عن عدو متحرك أو كامن، وحين يتأكد من خلو المنطقة يواصل مسيره وانسيابه.

و"أبو حاتم" رجل طويل القامة، رشيق، قوي البنية، يغطي رأسه بتلك الكوفية ويلفها حول وجهه فلا تبدو منه سوى عينيه، كان شاويشاً في قوات جيش تحرير فلسطين أيام الحكم المصري في قطاع غزة، قاتل في حرب ٦٧ ببسالة فائقة، ولكن ما عساه يفعل هو وقلائل من البواسل في معركة خاسرة بإجمالها. انساب أبو حاتم في شوارع وأزقة المخيم، فقد كان يعرف طريقه، توقف قليلاً يتفحص المكان من حوله ثم انطلق نحو شباك أحد البيوت وطرق على أطراف الشباك بخفية ثلاث طرقات ثم طرقة ثم طرقتين..نعم هذا حقيقي وقف "أبو يوسف" بجوار الشباك وقرّب رأسه منه وهمس بصوت لا يكاد يسمعه: من الطارق؟ فجاوب صوت "أبي حاتم" هامساً أبو حاتم.. فتمتم "أبو يوسف" ليس معقولاً (مش معقول) جاء الصوت: معقول يا أبو يوسف معقول. فتمتم سأفتح لك الباب.انسل "أبو حاتم" إلى الداخل فأغلق "أبو يوسف" الباب وألقى كل واحد منهما نفسه بين ذراعي صاحبه، و"أبو يوسف" يتمتم (مش معقول الحمد لله أنك بخير يا أبو حاتم).

أم يوسف كانت قد استيقظت وغطت رأسها وخرجت من الغرفة، اقتربت هي الأخرى وهي تهمس: الحمد لله على سلامتك يا "أبو حاتم"، تفضل يا أخويه تفضل ادخل، دخل أبو يوسف وأبو حاتم الغرفة وتوجهت أم يوسف ذاهبة إلى المطبخ قال أبو حاتم لأم يوسف لا تجهزي طعاماً ولا شاياً ولا تشعلي المواقد، التفتت أم يوسف باستغراب قائلة: (خير يا أبو حاتم أنت جاي عند مقاطيع!!) فتبسم أبو حاتم وهمس ألف سلامة عليكم وعلى خيركم ولكني لست جائعاً ولا أريد أن يُسمع إشعال الموقد[1] (ألف سلامة عليكو وعلى خيركم).

---

[1] الموقد: البابور